

AL-ASHGAR

MA'SAT FILASTIN.



3 1142 01011 1485

DATE DUE



**BRO
DART**

Rowell, R. J. & Wilson, R. J.
Los Angeles, Calif. - Brentwood, Tenn.
Smith, Thomas, Smith, Thomas
PRINTED IN U.S.A.

N.Y.U. LIBRARIES

الدكتور
صالح الأشتهر
أستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق

مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر

محاضرة عامة أقيمت في
مدرج جامعة دمشق في العاشر
من كانون الأول ١٩٦٠ م

١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م

مطبعة جامعة دمشق

Handwritten text, possibly a title or heading, centered on the page.

Handwritten text, possibly a signature or date, located in the lower left corner.

Ashtary Ṣāliḥ

(Maṣāʾiṭ Filastīn wa-atharuhā fī
al-shiʿr al-muʿāṣir. /

الدكتور

صالح الأشته

أستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق

مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

• محاضرة عامة أقيمت في
مدرج جامعة دمشق في العاشر
من كانون الأول ١٩٦٠ ع

~~PJ
7814
S48
M3
C.1~~

PJ
8190
.P3
A84
1961
C.1

تمهيد

هذه صفحات قليلة ، أقدم فيها دراسة موجزة مركزة ، تلقي
أضواء نافعة على مأساتنا القومية العظمية في فلسطين ، وتحاول أن
تكشف عن أثر المأساة في الشعر العربي المعاصر .
و كنت أصدرت قبل شهرين كتاباً « في شعر النكبة » درست فيه
هذا الشعر وخصائصه ، وجمعت فيه منتخبات من « ديوان النكبة »
لعدد ضخم من الشعراء المعاصرين ، وقد أعانني هذا الكتاب على

تكثيف بحثي الحالي ، وزاد نظرتي إلى شعر المأساة تبلوراً وإحاطة ،
ومن هنا تجيء محاضرة اليوم تكلمة لكتابي ، وكل رجائي أن يكون
الطريق الذي شققته في دراسة هذا الجانب البكر من أدبنا المعاصر
واضح المعالم ، يثير عزيمة الباحثين لمواصلة السير فيه ، وتعميق الخطوط ،
فالنكبة الفلسطينية - دون ريب - هي العامل الرئيسي الفعال في الأدب
العربي المعاصر : شعره ونثره ، وكل بحث في أدب المأساة جهد مذكور
ومحمود من جهتين : فهو يسهم في غنى دراساتنا لأدبنا المعاصر من جهة ،
وهو يعين على بقظة ضميرنا القومي من جهة أخرى .

وبعد :

فقد لقي بحثي في شعر النكبة من الترحيب والتشجيع ما زاد
إيماني بخطر الموضوع وقيمه ، فإذا استطاعت هذه الصفحات - مع
الكتاب الذي تقدمها - أن تنحت لبنة صغيرة متواضعة في بناء يقظتنا
القومية المعاصرة كان ذلك خير كسب لي ، وكنت به موقفاً وسعيداً .

سليم الأشتر

مأساة فلسطين وأشرها في الشعر المعاصر

أيتها السادة

بحاولي أن أعود دائماً إلى ذلك الفصل الممتع من مقدمة ابن خلدون^(١) الذي يقرر فيه أن للدولة ، كما للأشخاص ، أعماراً طبيعية ، ويرى أن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال من الناس : أما الجيل الأول فهم مؤسسون الدولة ، وكلهم عصية لها ، فحدهم مرهفة وجانتهم مرهوب ، والناس لهم مغلوبون ! وأما الجيل الثاني فهم يميلون إلى الترف والكسل ، فتكسر فيهم سيطرة العصية بعض الشيء ، حتى إذا جاء الجيل الثالث بلغ الترف فيهم غاية واستكانوا لغضارة العيش ولينه وأصبحوا عيالاً على الدولة وسقطت العصية بالكلية فيهم ، فإذا هم غير قادرين على حماية الدولة من طمع الطامعين ، فيسلمونها بأيديهم إلى الانقراض !

هذه خلاصة ذلك الفصل المشهور من المقدمة وهو مجوئ نظرية اجتماعية استقرها ابن خلدون من دراسته لتاريخ الدول التي قادت الأمة العربية وحكمتها خلال القرون إلى عصره ! ولقد تدبرت نظرية ابن خلدون فראيت أنها نطل

(١) - المقدمة : الفصل الرابع عشر

إلى اليوم صادقة مصيبة في خطوطها المريضة وهي أن من نواميس الحياة ألا
تستطيع الدولة التي تبلغ ذروة المجد والحضارة الحفاظ الدائم على أعجائها ، فلا
بد من أن تتسرب إليها عوامل الضعف والانحلال والتعفن ، لتؤخر حياها عن
الذروة ، وتردها ، هي والامة التي تسير في ركابها ، إلى السفح ، حيث يتوالى
انحدارها شتبا فشتبا . . . وعلى السفح المنحدور تتوالى ليالٍ مظلمات من النكبات
والأحداث ، تلغ في أحشائها أشباحاً هزيلة ، تندفع نحو مصيرها الرهيب في
خنوع واستسلام ! ومن أعماق الظلمة تنطلق أصوات مبهوكة ، تحاول عبثاً
أن تهرّ النافثين لتفتح أعينهم على الخطر وتوقف فيهم العصية لمجدهم الآفل وتقرّبهم
بالصعود إلى الذروة من جديد !

تلك هي صرخة الأدب . . صرخة مستردة على حياة السفح والنوم
والاستسلام ، تنهب بالامة والمنعدرة ، أن تدرك ذاتها وتعي مصيرها ،
لتعاود الصعود إلى الذروة .

وكذلك - أيها السادة - عرفت أمتنا العربية ، أمتنا التي ذافت دول
كثيرة فيها خلال القرون حياة المجد في الذروة ، عرفت فترات مظلمة من
حياة الفرج ، وتاريخ تلك الفترات السود مجبول بالأمي والأهوال والدموع ،
وأدبها هو أدب النكبات ، وهو جانب ضخم من جوانب أدبنا العربي في القديم
والحديث ، ولا أدل على ضخامته من أن نذكر بما قال الشعراء العرب في
نكبتين اثنتين من نكباتنا الكثيرة خلال التاريخ وهما : مأساة الأندلس
ومأساة فلسطين .

فأما مأساتنا في الأندلس فقد أغنت الأدب العربي بما قاله الشعراء في البكاء
على المجد الضائع ورناء الممالك المعصوية ، وهو شعر كثير يفصل أسباب النكبة
الأندلسية ، وبحكي قصة العرب في إسبانيا وما كان جزاؤهم فيها بعد أن

أعدوا ترتيبها خير ما يقدمه العقل الثبير واليد العنان إلى الأرض ! وفي موسوعة
مؤرخ الأندلس المقرئ "المجد غاذج" كثيرة لهذا الشعر الذي يسبح بالآهات
والعبرات والدموع ويعتصر منها أبلغ الدروس والعظات !

وأما مأسائنا في فلسطين فقد منعت الأدب العربي ديواناً دموياً ضخماً ،
كتبت الحروب الصليبية صفحاته الأولى ، وهو لا يزال إلى اليوم في تضخم
منسّر ، وكلما تضخم الديوان ازدادت علقة الدم العربية في فلسطين غنى
واتساعاً ، وموضوع حديثنا اليلة هو مأسائنا هذه في فلسطين الشهيدة وأثرها
في الشعر العربي المعاصر

* * *

أيها السادة

يخيل لي أحياناً أن الله - جلّ شأنه - عندما شاء لهذه البقعة المطهرة من
أرض البشر أن تثبت النبوات ، وأن تصدح في أجوائها أصداً الرسلات
السماوية السامية ، شاء أن يجعل أمتنا العربية مالكة لهذه الأرض المقدسة وقائمة
عليها ، حامية لها ، وكتب - جعلت مشيئة - على أمتنا أن تدفع عن ذلك
الامتياز العظيم بدلاً غالباً من "حر" دمها ، تلقي به تربة فلسطين الطاهرة ،
من دمها المظلوم ، يربه في كل مرة دؤبان معتدون يقبلون على فلسطين من
أقاصي الأرض ، يسوقهم إليها نعصب أحق أرعن ، وتقربهم بها مطامع
وشهوات ! وإن لم يكن ذلك ، فلم نجتمع المعتدون الصليبيون في أواخر
القرن الخامس الهجري من كل طرف ، وغزوا أرضنا ، فدمروا الثغور
والدروب ، وأحرقوا المساجد وهدموا الدور ، وأقاموا المجازر وأجروا أنهار
الدم ؟ ولماذا ارتكبوا في القدس بعد احتلالهم عليها ما يقشمر له من خجل
ضمير التاريخ ! !

يقول المؤرخ الأوربي ميشو (١) : ارتكب الصليبيون في فتح القدس
أولاً من التعصب الأعمى لم يسبق له من قبل نظير !

ويقول المؤرخ العربي ابن الأثير (٢) : وورد المستغفرون من الشام
بعد فاجعة القدس ، في رمضان إلى بغداد ، فأوردوا في الديوان كلاماً أبكى
المؤمنين وأوجع القلوب ، وقاموا في الجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا
وذكروا مدمم المدين بذلك البلد الشريف المظلم من قتل الرجال وسي
الخريم والأولاد ، وسلب الأموال ، فشدت الحروب ، يعني أهل بغداد من
حزبه على حواشيهم في القدس فطروا ...

قد راق الصليبيون الدم العربي المظلوم في فلسطين ، فهزت نكبتهم ضمير
العالم الإسلامي ، وتفطرت قلوب البغداديين وسالت دموعهم ، وارتعش
وجدان الشعر العربي ، واطلقت أولى قصائد النكبة في ملحة الدم في فلسطين
من قه الشاعر أبي المظفر الأيوبي (٣) :

مزجت دماء بالدموع سوجج	هم يبق هذا عرصة للفرارجم
ومرت سلاخ نمر دمع يقبضه	هذا الحرب شئت ناله بالحوارجم
عليها بين الإسلام ! إن وراءك	وقائع يلحق القاري بالمنام
أتهرب في ظل أمن وغبطة	وعيش ككنوار الخيلة فاعم
وكيف تدم العين ملء جفوها	على هبتوات أبقت كل قائم
والخوار كماله بضحي مقلتهم	ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
يسومهم الزود أهوان وألم	نحرون ديل الحضر فعل المسالم

(١) : عالم الإسلام في بغداد : المنة الأولى : الجزء ٥ : ص ٢٧٢

(٢) : الكامل في التاريخ : حوادث سنة ٦٠٠

(٣) : أورده ابن الأثير في الكامل ولا يجدها في المختارات المطبوعة من ديوان الأيوبي.

وكلم من دماء قد أصبحت ومن دمي
 بحيث السيوف البيض محرقة الظب
 وبين اختلاص الطعن والضرب وقعة
 وتلك حروب من يغيب عن غمارها
 أترضى صناديد الأعارب بالأذى
 ويحتملون النار خوفاً من الردى
 فليس لهم إذ لم يدودوا حمية
 وإن زعدوا في الأجر إذ هي الوعى
 لأن أذعن تلك الحياض للبحرى

ونالت قعايد النكبة بعد صرخة الأبيوردي هذه ، وظلت فلسطين
 تقاسم الأهوال ، وبقي الدم المظلوم تربتها المقدسة ، وصبرت القدس على
 على الهبة فترابة نسمين عاماً وهي تنتظر سيف النصر صلاح الدين ، فلما لا حيا
 طيف القائد العظيم فوق بطاح حطين ، وارتدت إلى العرب أوضاعهم وكرامتهم ،
 وألقي بالذوئبان المعتدين إلى البحر ، فتظهرت من أوحاشهم أرض السموات ،
 دوت صوت الشعر بالفرجة العظمى ، بلسان الشاعر المصري ابن سناء الملك :

لست أدري بأي فتح انتهت
 أمهنيك إذ قلعت شاماً
 قد ملكك الجنان قطراً قطراً
 إن دين الإسلام من على الحرد
 لك مدح على السموات ينشأ
 قصدت نحوك الأعادي فرد الـ

يا منبل الإسلام ما قد غشى
 أمهنيك إذ قلعت شاماً
 إذ فتحت الشام حصاً حصاً
 في وأنت الذي على الدين مت
 ومحل فوق الأمانة بيني
 له ما أعلوه غنك وعشا

فقد ملكت البلاد شرقاً وغرباً وحوت الآفاق سهلاً وحرّاً
واغدى الوصف في 'علاك حبيراً' أي لفظ 'يقال أو أي' معنى ؟

ولكن مأساة فلسطين لن تنتهي عند هذا النصر العظيم ، فثمة فلسطين
ستظل مشوقة إلى الدم العربي المظلوم ، والذؤبان المعتدون سيظلون من وراء
البحار يتجسّسون الفرصة للعودة إلى الأرض المقدسة ، فلنطو إذًا هذه الصفحة
القديمة من ديوان النكبة ، ولنفتح صفحة جديدة لمأساة فلسطين في تاريخ
العرب الحديث .

* * *

أيها السادة

لقد أقبل القرن العشرون والامة العربية في سائتها العميق ، وكأنها
استطابت حياة الفرح ، واستسلمت راضية إلى وم كالموت ، وهي تعلم أن
من وراءها ذؤباناً لا ينامون الليل ، نوزقهم هذه المرة 'طماح' باللغة الخطر ، فهم
يعلمون بلسان زعيمهم زئفكويل ، أن فلسطين وطن بلا شعب ! فيجب أن
تعطى لشعب بلا وطن ! . وهم يزعمون أن فلسطين أرضهم ، كانوا قبل آلاف
السنين فيها ، وهم اليوم موعودون بالعودة اليها ، وغاية مزاعمهم أن يقطعوا من
الكيان الأرضي العربي الموروث قطعة غالية يقيمون عليها وطناً قومياً لهم !

وكذلك كان وعد بلفور - أيها السادة - للورد اليهودي روتشيلد سنة
١٩١٧ خاتمة جهود معصرة لذؤبان الصهيونية العالمية ، وعند صدوره تعلقت
به آمال يهود العالم الحاربيين من نعمة الشعوب ، وأصبحوا ينتظرون يوم
الهجرة إلى فلسطين !

وانتهت الحرب الكونية الأولى بنصر الحلفاء وعدومهم بالشريف حسين
وتوونه واقتسامهم مناطق النفوذ في العالم العربي ، واحتل الجيش الانكليزي
فلسطين ، وفي اليوم التالي لدخوله القدس وصلت الى فلسطين اللجنة الصهيونية
لدراسة الوضع فيها ، ومن آن بعدت الآلة الصهيونية تدور : تجمع المال
وتشتوي الأرض وتقيم عليها المستعمرات لافواج المهاجرين ، وبدأت الحيلولة
الأولى للناساة الجديدة تجوز لكل عبي ، غير أن العرب لم يكتفوا الى ذلك
اليوم ليحسوا بالخطر الرهيب احساساً كافياً ، فهم لا يزالون متفرقين شيعاً
وأحزاباً تتناحر وتتعادى ، واليهود يتابعون تحصين المستعمرات ويستعدون
للمعركة المقبلة ، وجاءت الحرب الكونية الثانية فأعانتهم على إنشاء المصانع القوية
وتدريب قضاةهم وفلسفيهم ، وكانت دعايتهم الهائلة المنظمة تهيئهم متداً في كل
بلد ، من رأي عام يعطف على نشرهم في الأرض واضطهاد النازية لهم ، وقد
انتهت الحرب ثانية بنصر الحلفاء أصبحت لفلسطين الشاهدة قضية "مروضة على
منظمة الأمم المتحدة ومن روائها أصابع أميركا والصهيونية ، وأدرك العرب
أنهم مقلون على الناساة ، ولم تستطع دونه السبع وجامعتهم العربية أن تمنع
احدائر القراوت بتقسيم فلسطين ، وأشريد عربياً ، ودعوى الرضا من جديد
في الأرض المقدسة ليليل فيها الدم العربي المنسلوب ، ودخل جيش الانتفاذ
العربي الى فلسطين بقيادة هزيمة وجند حليط وسلاح مفلول فتوات عليه
الضربات ، وشن اليهود عدواناً وحشياً مقصوداً على دير ساسين فشرروا به
الذعر والخوف ، وبهذا السلاح المالحق من الرعب الجماعي والنيار الأعصاب
أجلى اليهود العرب عن طبريا وحيفا وبافا وعشرات المدن القرى ، وندفق
اللاجئون على البلاد العربية المجاورة والضفة الغربية من الأردن ، حتى إذا أقبل
اليوم المحدد لانسحاب الجيش الانكليزي من فلسطين ، في الرابع عشر من أيار
عام ١٩٤٨ ظهر للعالم أن مجتمع العصاة اليهودية في فلسطين أصبح دولة قائمة ،

وأن المجتمع العربي فيها بدأ يلفظ أنفاسه ويتحول إلى قطمان مذعورة من
الغرياء اللاجئين هائعين على الدوب !

عند ذلك أعلنت الدول العربية السبع الحرب على إسرائيل ، ونحطت فرق قليلة
من جيوشها حدود فلسطين للقيام بزهة حربية في الأرض المقدسة ، ومر
أسبوع وأسبوع والجيوش العربية تقتحم ما أقر التقسيم بإبقاء عربياً من
الأرض الشديدة ! كانت الجيوش العربية متفرقة متعاذلة ، قليلة العدد ، هزيلة
الحجرة والتدريب والتنظيم والسلاح ، وأمامها عدو منظم مدرب قد عبأ جميع
قواه البشرية والمادية والعقلية والسياسية ، وفي يده أحدث الأسلحة وأصاها ،
ولهذا كان على الدول العربية أن تقبل الهدنة الأولى لمدة شهر تمكن اليهود
خلاله من تعزيز قواهم ، والعرب سادون في خلافتهم ، فلما عادت الحرب
برز الخلاف في الجبهة العربية للبيان ، وانسحب الجيش الأردني من اللد والرملة ،
وتبعه الجيش العراقي ، وخلا الميدان أمام القوات الإسرائيلية فاحتلت بيسر
عدة مدن ومئات القرى ومساحات واسعة من الأرض العربية ، وهرب
السكان على وجوههم هائعين ، وقد باغتهم العدو في دورهم وخلفوا في أوضاعهم
مثل ما يملكون ، وارتفع عدد اللاجئين في البلاد العربية عشرات الآلاف .

وقبلت الدول العربية قرار مجلس الأمن بالهدنة الثانية ، وتناغم
الاتلاف بين الحكومات العربية ، وانتهى بإعلان حكومة عموم فلسطين في غزة
انتقبت أمام أطباع الملك عبد الله ، فرد الملك بإعلان ضم الضفة الغربية من
الأردن إلى الشريعة ، وفاز بذلك من العزيمة بنصيب الأسد !

ومضت أيام الهدنة الثانية والحكومات العربية ماضية في تناحرها وشقاقها ،
واغتتم اليهود الفرحة فجمعوا قواهم وهاجموا بها الجيش المصري ، وتمكنوا من
محاصرة فرقة كبيرة منه في الفالوجة ! وكذلك شاء ربك أن يكون ، بين
الجند المحاصرين ضابط عربي شجاع ، هيأته غنابة الله لدور حاسم في المأساة ،

وهناك في قلب المعركة والحصار التقى جمال عبد الناصر بتلك الفئة المؤمنة من الأبطال الأحرار الثائرين الذين جرت دماؤهم المظلومة على تربة فلسطين، فهاجت في قلوبهم الثورة على الظالمين، ولما عاد المحاصرون إلى القاهرة اندلعت من قلوبهم شرارة الثورة فأطاحت بالمرش وأذغها فكانت الصفحة الأولى من انتقام الشعب العربي لكرامته المهذورة !

أما التيشلية الحربية في فلسطين فقد انتهت بأن عقدت كل حكومة عربية الهدنة المنفردة مع إسرائيل - صاغرة دليلاً - ثم راحت تفصل من جريحاتها في المأساة ، وتحمّل الأخرى مسئولية النكبة والإتكسار والحزينة ، وتغدر شعبها بالتهديد بالجلولة الثانية !

ومرّت السنين حتى جاووت العشر ، مرّت ثقلية بطيئة الخدلاً ، وجعل المأساة ينظر الفجر الموعود ، ويتلف إلى خيال القائد المظفر لجيش العروبة الموحد ، ويتوقب انطلاق الصيحة الرائعة من عهدنا بالزحف العربي المقدس !



أها السادة

هذه الخطوط العريضة لمأساة فلسطين في عصرنا الحديث عشناها ، أو عاشها أكثرنا بكل دفقة من دماائه وبكل وجفة من أعصابه ، ولما بسطتها لأن الشعر العربي المعاصر عاشها أيضاً بكل جزئياتها ، وقد استخلصت في كتابي (في شعر النكبة^(١)) حكاية المأساة من جذورها إلى اليوم ، من الشعر المعاصر ، وبذلك يتضح لنا أن ديوان النكبة في تضخم مشر ، وأن ملمعة الدم في فلسطين ما زالت إلى اليوم بدون نهاية !

سأقف الآن بكم عند هذه الحكاية الشعرية لمأساة فلسطين الحديثة لتدرس

(١) - في شعر النكبة مطبعة جامعة دمشق - ١٩٦٠

هذه المأساة من أثر في الشعر العربي المعاصر ، ولكي أضف جوانب البحث
سأحاول تكتيفه في نقاط التأثير الخمس التالية :

١- مأساة فلسطين قدّمت للشعر المعاصر زادا لا ينقذ

لا ريب في أن مأساة فلسطين هي أعظم تجربة يعانيها الأدب العربي المعاصر ،
فقد هزت أهواها ضلّات الشعراء العرب في كل قطر عربي ، وأنصقتهم بتعر
غريز ، وأوحّت إليهم بصور شعرية لانهائية ، وكيف تأنّي صور المأساة
مادام هناك مليون من المشرّدين على الدروب ، في كل بلد عربي ، تروي
وجوههم الشاحبة وأجسادهم المقلّولة قصة الجريمة العظيمة لكل عين ، ونذ كثر
كلّ ذي وجدان يعمق المأساة ووحشتها ، ومن مالم يكن شعراء فلسطين
وخدم في مناحة النكبة ، فالمأساة قومية جامعة ، ويندر أن نجد شاعراً
غريباً في أي قطر من أقطار العروبة لم يسهم في البكاء على البلد العربي الشهيد ،
أو في مواساة المنكوبين ، أو في بث روح الصبر والقنوة والعزيمة للنضال
من جديد والاستعداد لمعركة النجاة ، وقد رعى الشعراء العرب جميعاً أن يواءم
المأساة في فلسطين دوراً متراكماً تعرف البلاد العربية كلها غدره وويلاته ،
فأزدادوا غماً في مهاجته ، واكتشفوا عن وجهه القناع ، وفضحوا الصلة التي
تجمع بين الاستعمار والصهيونية ، وإسرائيل غير مغلب للاستعمار ، يهدد به
أمن العرب ، ليقتضي على كل حركة تحريرية فيهم ، ويضمن بذلك حماية ما بقي
له من مرافق ومصالح في جوانب من أوصال العرب !

غير أن الاستعمار لم يكن وحده السرّ في مأساة فلسطين ، فهناك القدر
والجبانة والمصامع والأهواء والشهوات التي كانت انصرفت في رؤوس عدد
من الملوك والرؤساء ، وقد انصدى شعراء النكبة هؤلاء ، وفضحوا دورهم
القدر في المأساة ، واكتشفوا عن جرائمهم وصبروا عليهم الملعنات ..

والى جانب هذه الصفحات السود من الحياة والحزى تضم المأساة صفحات
رائعة من البطولات والتضحيات ، وبذلك كله قدمت مأساة فلسطين للشعر
العربي المعاصر زاداً لا ينفد ، ووضعت بين يديه مادة للقول غزيرة لانتشيط
مهما امتد عمر المأساة ، وإليك ديوان النكبة : فبين ما كان يقوله ابراهيم طوقان
قبل التقييم بعشر سنين :

أمامك أيها العربي يوم	تنبئ لموله سود النواصي
وأنت كما عهدتك لا تبالي	بغير مظاهر العيث الرخاص
مصورك بات يلحسه الأعداء	وسار حديثه بين الأقاصي
فلا رعب القصور غداً يباقي	لناكها ولا ضيق الحصان

وما يقوله أبو سلمى بعد التقييم بعشر سنين :

فلسطين مضت عشر وفي	كل يوم يسبح الدهر بدانا
وأنت والظلم يحرقنا	عرباً : قلباً ووجهاً ولساناً
بأجناسي مضت عشر ولم	تلم التوب المقتدى شفتانا
وشظائنا اللواتي وحدثت	بين أهلنا ولم يبق موانا

بين هاتين الصفحتين من ديوان النكبة شعر كثير يفصل أسباب المأساة
ويتتبع أحداثها ويصور أبعادها الواقعية والوجدانية ، وما زالت المأساة إلى
اليوم تقدم للشعر مادة جديدة !

٢ - مأساة فلسطين أغنت العنصر العاطفي في الشعر المعاصر

أثارت مأساة فلسطين بأهوالها وويلاتها وجدان الشعر المعاصر ، فانطلقت
قصائد النكبة مفعمة بالآلم والدموع تصور بؤس المنكوبين وشقاءهم
وضياعهم وضلالتهم ، وتقف أمام خيام اللاجئين ، لتقص قصة العربي النائه !

نقد انتهى دور اليهودي الثالث منذ أصبح له في إسرائيل وطن قومي بحبيبه ،
 وبيت يظله ويؤويه ، وأرض تطمعه من خيراتها ونفسيه ، وهام العربي على
 وجهه ، بلا وطن ولا بيت ولا أرض ، يلوب في الدروب ، حافياً عارياً
 جائعاً ، ينتظر من الشعوب فضلات الإحسان ليمس بها رقبته ، وهو الذي
 حلت في وطنه السلب مئات الملايين من جنيتها ! حتى إذا أقبل عليه الليل
 أدى إلى تلك الحية السوداء التي أصبحت ومرأ كريباً للكتابة " " فقي قلب
 هذه الحية ألوان كفرة من اليأس والشقاء ، من جوع وأخري وبرد ، وقيل
 و-ل- وموت !

أنا ، خيمة الليل ، كي يسميها الشاعر المبدع محمود حسن إسماعيل :
 هنا في خيمة البتان والطمبان والزور
 لدى مأوى كالعهد الميت في السبان محفور

• • •

هنا في كسوة الأقدار بين السيل والويل
 ومن أعواء شيطان طريد الجن مخيل
 يققع للعود السود مأخوذاً من الهول
 سمعت فصيح ثعالب علي وثني "منسل"
 تدفق جبهه المفروور بين حقائق السل
 وبين شناه بستان بدم الموت مخفل !

ومن هذه الحية والشقاء الرابض في جوفها اشعار كثير من الشعراء
 المعاصرين مادة شعرية لدواوين كاملة ، حتى أصبح للحيمة في الأدب المعاصر أثر
 بعيد المدى ، ولقد أسهم شعراء العالم العربي في أدب الحيمة إلى جانب شعراء
 فلسطين لأن حياة اللاجئين مشوكة ونحت كل كوكب في بلاد العرب ،

في شعر الكتابة : ١١

كما يقول أبو سلمى ، ومنها يزحف بؤس خاد يدمى القلب ويبيكي العين ويحرك
لسان كل شاعر .

واقعد صوّر الشعر المعاصر الشخص النفسي المنيب الذي غناه العرب في
مختلف أطوار الحضارة ، فمد جثته إلى شعر النكبة بمد التقسيم والمعرفة المازلة
وجذاته بوجع بالقلق والحيرة والشتك ، وهو بذلك صورة من دقة النفس العربية
الجرحة الكبرياء عندما صدمتها الغزيرة ففجرت ثورة غضبها ، وبأنهم وانهاروا
وأشعلت براكين حقد على الحياة ثم استكاثت إلى كتابة حزينة فائقة إلى أن
أشرق طور جديد ، هو الانعجارات الشعبية في أطراف من العلم العربي ، فتسهم
شعر الحضارة روح النضام والتفوق والأمل ، وراح تصور النفس العربية وقد
عادت إليها الثقة وارتدت إلى ذاتها ، وساهمت كما يأتى من جديد لتحدي
كل مفتصب ، وساهمت بإثارة واستعادة الوطن المعصوب .

والذي يزيد غنى العصر المعطفي الوجداني في الشعر المعاصر اندفاع ناك
تلك الثورة العارمة من الخين إلى أرض السلبية في قلوب شعراء فلسطين ، فهذا
أبو سلمى يحن إلى داره في فلسطين وما حانف فيها من حلو الذكريات :

داري التي أغفت على روبة	حاملة بالجد والفسار
تفتح الزهر على خدها	ومطرت أمام آدار
والبنسة الخضراء في ظاهها	ناب اربيع أشواقي وآثري
والعين خلف الدار في المشعي	تروي حكاياتي وأخباري

وهذا حسن البحيري يتلمذ أنفاس وطنه المعصوب في أربيع الزهر :

سألت ذات حنين أختها	والدجى يعقد أجفان الزمن
وصدى النجوى على أفق الرء	يزغبر اللفسة في ليل الشجن
أخبر ما سر الشدى من ذليق	حيث الأدمع في جفن الزمن

فأجابتها بلعن شارد
وابنة الأيك وراخت الشجي
وت فاهتز له عطف الفنى :
أرج الزئبق أنفاس الوطن !

والحق أن شعراء فلسطين شنوا أصدق الحزن المأساة وأعظمها عاطفة لأنهم
صدروا عنها عن التجربة التي عاشوها بأنفسهم والمآسي التي رآوها بأعينهم ، غير
أننا يجب أن نلاحظ أن غنى العنصر الإنفعالي وطعمه بتضخمه على العنصر الفكري
في شعر المأساة قدأ مزيجاً فقيراً ، ذلك أن شعراء التكية لم يستطيعوا أن
يعكسوا المعنى الاجتماعي للمأساة القومية الكبرى ، المعنى البشاعة الذي يجدد
اغدوف ويرسم الطريق ، كما أنهم لم يعمدوا بتزويد الضمير العربي بالسند الجدلي
لحق الأمة العربية في فلسطين وبطلان مزاعم الصهيونية فيها ، ولا يقولوا إن
هذه النقطة الأخيرة ليست من وظيفة الشعر ، ذلك أن ذلك شاعراً واحداً
فما أعلم سابقه إلى هذه الثغرة في شعر المأساة وحاول أن يسدها ، وهو شاعر
مجهري ، ولعله استطاع أن ينجو بشعره من طغيان العنصر العاطفي لأنه كان
بعيداً عن المأساة في أمهجره ، فمنمكن من الموازنة بين العاطفة والفكر في بكائه
للمأساة ! بقول بليد أبو ماضي :

ديار السلام وترضى الهدا	يشق على الكل أنت نحرنا
فخطب فخطب خطب الملا	وما كان رزء الملا هبتنا
صهرنا فكلأت الميوف	نحز بأحبادنا ههنا
وكيف يزود الكرى أعيناً	ترى حوقا للردى أعيننا
وكيف تقطيب الحياة لقوم	تسد عليهم دروب المن
بلادهم عريضة للضياع	وأههم عريضة للفنا
يريد اليهود بأن يصلبوا	ونائب فلسطين أن تذعننا
ونائب المروءة في أهلها	ونائب السيوف ونائب القنا
أرض الحيال وآبائه	وذات الجلال وذات القد

وتقدو لشذاذهم مكنا !	تصير لغوغائهم مسرحاً
أقد خدعتكم بروق المني	فقل لليهود وأشباههم
ببلاداً له لا بلاداً لنا	ألا ليت (يلغور) أعطاكم
وأنت أحياء إلى لئدنا	فلئدنا أرحب من قدسنا
فلنعطى فإن شاء أن يسكننا	فليت فلسطين أرضاً منشاءاً
نودكم بطوال القنا	فإن تطلبوها بسر القنا
سوى أن يخاف وأن يحينا	ففي العربي صفات الأنام
فإن تخدعوا رجلاً مؤمنا	وإن تحبوا بيتنا بالخداع
فإن فلسطين لملك لنا	وإن تمجروها فذلك أولى
ونبقى لأحفادنا بعدنا	وكنا لأجدادنا قبلنا
وليس لنا بدواها غنى	وإن يحكم بدواها غنى
فإن نك يوماً يحكم موطننا	فلا نصبروها إلهم موطننا

٣- مأساة فلسطين نضجت في الأدب المعاصر روح التمرد والانطلاق والثورة

كانت النكبة في فلسطين نقطة الانعطاف الكبرى في بقعة العرب الحديثة ، فقد ايقظت المأساة أمتنا العربية على الخطر ، وأظهرتها على حقيقة صارخة وهي أن الذين خاضوا معركة النكبة لم يكونوا يحسون ، حساً كافياً بالولاء للأرض العربية والوطن العربي وكرامة الأمة العربية ، فكانوا الأداة المسخرة لهزيمة أمتهم بلايينها أمام حفة من شذاذ الآفاق لا يبلعون المليوث ، وجعلوا من الحرب الفلسطينية (مهزلة عربية) كما يسميها الشاعر الفلسطيني محمود الحوت ، ومرغوا بجنائهم تاريخ العرب الحديث ، وجعلوا بالعار والذل ، وقد نضجت هذه الحقيقة روح التمرد والثورة في أعماق جيل النكبة ، وعكس الأدب المعاصر هذه الروح المتمردة الشائرة المنطقية ، فتدفقت النقة في شعر المأساة نوح كأنار ، وها هي ذي نلتب في شعر يوسف الخطيب :

أنا مشعل أنا مازح جنبوا
سأمد في الآفاق ألسنة اللظى
ولا أحرق في الليل حتى تجلي
الميتين دموعهم وجراحهم
ولسوف أغل جيني حتى توى
أنا الحياة وإن أخل مترداً
ومشيئتي قد تدور على أقدامه
لو شئت جعلت النجوم مشاعلاً
وذروت في القطبين أرباع الردى
أنا مجرم أنا حاقده أنا سيء

لا الريح تخمدني ولا الإعصار
أحرأ أنا في الحاققين أوار
شداقه فتوقدي يا نار
وجدوني سابع الوغى والثار
مثل الضعف ويدوب عنها العار
أقيمت لا أرض ولا أختار
تسمع الأبياء والأفئدة
ودفقت منها الموت حين أزار
فلا أرض من بعدى لى ودمار
حتى تعود إلى ذويب الدار

وفي الشعر المعاصر حملات على الذين فدعوا معركة النكبة إلى الفريضة . وفي
ملئهم زمرة المنوك والحكام والرؤساء ، وقد كانت ثورة شعراء الأساة على
حياتهم شعواء حقاً ، واليك فادج منها :

يقول أبو سلمي وهو يسبق هنا سائر شعراء النكبة :

يا رفاق الدهر هل شردنا
زمعناة دنسوا ذويناك
وجبوش غفر الله فـ
دول تحبيب شرقية

في الزوى ندر عدو أم محب
وملوك شردوا ذويناك
سلمت أوجناك من غير حرب
وإذا أوعت فالحاكم غربي

ويقول عيسى السانوري :

هم أسلوك إلى العدو مرغو
هل مرغو فاربع يعرب كله
زمر نعيش على الحياة مثل

بالأر كل كرامة وإباء
ندة لا ندهي نصيرا
عاش البعوض على حيت الماء

ويقول عمر أبو ريشة :

أمتي ! كم غصة دامية	خفت بحوى غلاك في ممي
كيف أغضيت على الذل ولم	تدفعي عنك غبار التهم
فيم أقدمت وأحجبت ولم	يشف النار ولم تنقعي
اسمعي نوح الخرافي واطرفي	وانظري دمع اليتامى وابسمي
واتركي الجرحى تداوي جرحها	وامني عنها كريمة البليغ
ودعي القادة في أهوالهم	تفاني في خيس المع
رباه وامنعاه ، انطلقت	ملء أفواه البذات اليتم
لامت أسماهم لكنها	لم تلامس نخوة المنصم

ومن وراء البحار ، من المهجر يقذف الياس فرحات هذا الجبر ايرجم
به أصحاب الجلالة والسمو :

أشباب يعرب قم فنعن هنا	نأق تلر حدودنا المعنا
قم نفع عاراً نحت وطأناه	كادت نمن جبا هذا الدما
لولا رجاء النازحين عن الـ	الوطن فيك لا نكروا الوطن
وإذا لقيت ذوي الجلالة من	مداننا المنعكمي بنا
وذوي السمر وكل ذي لقب	خابر كصاحب قليل غنى
فالعرأ بالقاب لهم سميت	وكرامه امزيت أسي وحني
ديت بأقدام اليهود قبـ	شم الأنوف امتشقوا الدنا
أمهدمين يسوء دخلتهم	يوم الكربة ماصلاح بني
ذفوا وغسوا في مآثمنا	لكم البداة والحمام لنا

وفي الشعر المعاصر حملات خارية على الاستعمار والمستعمرين ، ثلاث

الاستعمار كما قدمنا من أهم عوامل المأساة ، ولهذا يقول هارون هاشم رشيد :

لولا خداع الانكيز وغدوهم مدعات في أوطان الأسود كلاب
والغرب ! بالغرب إن قدومه بحر البلاد مصيبة وخراب
هو أخطبوط فاجر مشعر في كل ناحية له أذنان

ومن مظاهر التردد والشك في الشعر المعاصر انصرافه إلى الشعب والأيان
به وبإمكاناته وعقده الآمال للخلاص على يديه . يقول كمال ناصر :

أنا الشعب فلسمي يادرا نشدي يدوتي بدمع الفضاء
أمد جناحي عبر الجراح من كبرياء إلى كبرياء
أنا الشعب بحفنة المرجفين نداء الحلود وسر البقاء
على مقلي مصير الوجود وفي وجني مصير القضاء

وندفع الثورة أحد شعراء السكينة - خليل زقطان - إلى المبالغة
والمغالاة فيؤله الشعب :

فليقرأوا فوق الجبال العرب فلسفة العشاء
حوراً من الإصرار نعم لمن أنقذ الشعب الاله

عن مأساة فلسطين دفعت الشعراء المعاصرين إلى التطور والتجديد والحياة

يعاني الشعر العربي اليوم ثورة جامحة على التقاليد الشعرية القديمة في الشكل
والمضمون ، وبواجه تجارب كثيرة لوضع تقاليد جديدة للشعر العربي ، وهكذا
نجد في الشعر المعاصر مشكلة جديدة هي مشكلة الشعر الجديد ، أو الشعر
الحر ، كما يسمونه وهو يقوم على وحدة التفعيلة في القصيدة ، وتنوع عدد
التفعيلات في كل بيت تنوعاً يوافق انسياب المعاني ، وتنوع الموجات العاطفية

توزيعاً موسيقياً ملائماً، واعتبار الثقافة عنصراً لغوياً، غير ملتزم ولا متعمد^(١). هذا من حيث الصياغة الشكلية، أما من حيث المضمون، فالشعر الجديد يمدد التجربة ويبدئها، ويعني بإيراد الجزئيات الصغيرة التي تتجمع خلالها فتزيد التعبير الشعري عن التجربة عمقاً ووضوحاً وأحدية، ثم إن الشعر الجديد يسعى إلى أن يكون محايداً في تشييل الجانب الانفعالي من الحياة، وإلى أن يبعد عن وقع الوجود وأحداثه على الوجدان دون غطاء أو زيف.

إن الشعر الجديد انقلاب ثوري على شعرنا التقليدي، وإنه يبتلع التعريف الذي قدمته آخره بلغة مثلاً من الشعر آخر الجديد الذي نظمته مأساة فلسطين بلسان الشاعر نزار القباني، وهي قصيدة جميلة سماها الشاعر «فصله» وأشيل شوارزبرغ، وقدمها للأجيال العربية الحديثة وأعلن فيها النود على الجيل الذي أسهم في خياع فلسطين، وليست شاعرنا نزاراً يتفق طاقته الشعرية دائماً في مثل هذه الموضوعات:

أكتب للصغار

للحرب الصغار حيث يوجدون

هم على اختلاف اللون والأعمار والعيون

أكتب للذين سوف يولدون

هم أنا أكتب للصغار

لأنهم يرحلون في أحداقهم النيران

أكتب باختصار

قصّة إرهابية مجتذرة

يدعونها «أشيل»

فضت سنين الحرب في زواجر منفردة

(١) انظر «شعر النكبة» ص ٨٩ - ٩٣

كالجرثومة .. في زواجر منفردة
 شتتها الاثمان في براغ
 كان نوحاً قدراً من أقدار اليهود
 يزور النقود ،
 وهي تدبر منزل الفاحش في براغ
 يقصده الجنود ..
 وآتت الحرب إلى خناء
 وألحق السلام
 ووقع الكبار
 أربعة يلقبون أنفسهم كبار
 حلت وجود الأمة المنهدة
 ... وأجرت من شرق أوروبا مع الصباح
 حفيظة ألغنها الرياح
 وجهتها الجنوب
 نقص بالجردان والطاعون واليهود
 كانوا خليطاً من سقاطة الشعوب
 من غرب بولندا
 من النمسا
 من استمبول .. من براغ
 من آخر الأرض .. من الدهر
 جاءوا إلى موطن الصغير
 موطن المسالم الصغير
 فطخوا ترابنا
 وأعدوا انعامنا

ويتموا أطفالنا
 ولا تزال الأمم المتحدة
 ولم يزل ميثاقها الطليق
 يبعث في حربة الشعوب
 وحقوق تقرير المصير
 والمثل المجرمة
 فليذكر الصفار
 العرب الصفار حيث يوجدون
 من ولدوا منهم ومن سيولدون
 قصة إرهابية مخندة
 يدعونها « راسيل »
 حلت محل « أمي الممددة »
 في أرض بيارقنا الخضراء في الجليل
 أمي أنا الديبة المستهدفة
 وليذكر الصفار
 حكاية الأرض التي ضيعها الكبار
 والأمم المتحدة

أكتب للصفار
 قصة بنو السبع والطرون والليل
 وأختي القليل
 هناك ، في بيتارة الليون ، أختي القليل
 هل يذكر الليون في الرملة ، في اللد ، وفي الجليل
 أختي التي علمتها اليهود في الأرميل

من شعرها الطويل
أخني أنا نوار
أخني أنا الفتىكة الإزار
على ربا الرملة والجليل
أخني التي مازال جرحها الطليل
مازال ناشطار
نهار نادر واحد ، نهار نادر
علي يد الصغار
جبل فدائي من الصغار
يعرف عن نوار
وشعرها الطويل
وفجرها الضائع في القفار
أكثر مما يعرف الكبار !

* * *

أكتب للصغار
أكتب عن دفا وعن مرفها القديم
عن بقعة عالية الحجار
بضي برنقها كخيمة النجوم
تضم قبر والدي وأخوتي الصغار
هل تعرفون والدي وأخوتي الصغار
إذا كان في دعا لنا حديقة ودور
يلقها النعيم
وكان والدي الرحيم
مزاداً شيناً يحجب الشمس والقواب

وافة والزيتون والكروم
 كان يحب زوجته
 وبيت
 والشجر المتقل بالنجوم
 . . . وجاء أغراب مع الضباب
 من شرق اورشليم ومن عياض السجون
 جاءوا كفوج جائع من الذئاب
 فأنلفوا الثمار
 وكسروا الفصون
 وأشعلوا النيران في بيادر النجوم
 والحمة الأطفال في وجوه
 والليل في وجوه
 واشتعلت في والدي كرامة التراب
 فصاح فيهم : اذهبوا إلى الجحيم
 لن تملئوا أرضي بإسالة الكلاب
 . . . ومات والدي الرحيم
 بطلقة سدها كلب من الكلاب
 عليه مات والدي العظيم
 في الموطن العظيم
 وكفه مشدودة شداً إلى التراب
 فلبد كسر الصفار
 العرب الصفار حيث يوجدون
 من ولدوا منهم ومن سيولدون
 ماقية التراب

لأن في انتظارك

معركة الثواب . . . !

هذا نموذج من الشعر الجديد ، نموذج كامل لم أ حذف منه شيئاً ، لكي
نلمسوا فيه سعة دائرة التجربة وقسوتها والعتاة بالجزئيات التي تلاقى فتريد
التجربة عمقاً ووضوحاً ، والشعر الجديد بلا اليوم صحننا ومحلاتنا ، وبهم النقاد
بدراسته ورصد أسبابه ، فيقول بعضهم إنه امتداد للرعدة العنيفة التي هزت
كثيراً الشعر العالمي كله من جراء تصور المفاهيم ، ونجوى الشعر العربي المعاصر
في هذا التيار ، والحق أن وراء الشعر الجديد دوافع كثيرة أخرى معقدة ،
منها تلك الشعبية المأثرة المقنعة بسنار التعديد والتحرر والابطلاق ، ونحت
قناعها حقد على التقاليد العربية أية كانت ، واندفاع ضارب نحو تحطيم كل عقيدة ،
ومن الدوافع أيضاً غرور بعض الناشئين من الشعراء ، يُعجزهم إقامة الوزن
والخضاع القافية ، فيختصرون الطريق ، ويسردون على القيد ، ويصيرون
إلى الشعر الحر ، وهؤلاء المراهقون من الشعراء بحاجة إلى عصا نافذة صارم ،
يعلمهم أن وراء كل أثر في ناجح موهبة صائفة عامة ، ونضجة لاحد لها من
سهر ، عرق ودمع وصبر !

غير أن أهم دافع - في اعتقادي - هذا الانقلاب الثوري في الشعر المعاصر
ينبع من مأساة فلسطين ، ذلك أن الهزيمة في فلسطين كانت مدممة عنيفة طاش
في أعقابها العقل العربي ، فاحتلت موازين القيم أمام عينيه ، وتفجرت في اللا شعور
نقمة مسعورة تسبح بكل القيم وتهددها ، فالتورة على التقاليد الشعرية صورة
للقلق النفسي والشك والحيرة والرغبة في التغيير والاندفاع نحو التحرر ،
والاستمزاز من الماضي والحاضر . . صورة للهزة المرهبة التي كادت تحطم القيم
العربية في أعقاب الهزيمة !

إن الشعر الجديد أثر من آثار مأساة فلسطين في الشعر المعاصر ، وهو تجربة

لاخير منها ، واذا قادها الوعي القومي والانساني بعنق وموهبة واحالة
أعطت غاذية ناجحة ، وكان لها أثرها الجيد في مستقبل الصبغة الشعرية وفي
تطوير الشعر العربي الحديث كله .

أقد خرج الشعر الجديد من أعقاب معركة فلسفين ليخوض بنفسه معركة
النقد للمحك على صلاحه ، ومعركة النقد هذه ابدأ بين المحوطين والمحدثين . وهي
استمرار طبيعي للمعركة النقدية القديمة التي لأحياء للأدب بدوتها - وعلى رأس
المحافظين الأستاذ عباس محمود العقاد الذي يرفض أنه يسمى الشعر الجديد شعراً ،
والى جانبه الشاعر المحافظ عزيز أباظة الذي يسمي الشعر الجديد «هذيان المحرمين» !
وأما المحدثون فيعلنون أن الشعر الجديد هو «ثورة تجعل من عصرنا عصر
شعرياً ديمقراطياً» كما يقول الشاعر المحدث صلاح الدين عبدالصبور ، وبدعم هؤلاء
نقاد مثقالون في مقدمتهم الدكتور محمد مندور الذي يدعو الناقدين المتشاكسين
إلى أن يبذلوا محاولات محلصة لفهم الشعر الجديد واستنباط مواطن الجمال فيه .

هـ - مأساة فلسطين غلبت على الشعر المعاصر الانحاء الالتزامي المادف

في اعتقادي أيضاً أن مأساة فلسطين هي أكبر عامل في إثارة الدعوة إلى
الالتزام في الأدب في العالم العربي ، وفي تغليب الانحاء المادف على الشعر المعاصر ،
وذلك لسببين :

أولها أن مأساة فلسطين قد امت للشراء مادة واقعية غنية ، وشغلت بربلائها
وأهوالها الضمير العربي افاطلقت الصرخة من أعماقه داعية إلى مطروعة الأدب
الحديث لواقع الأمة العربية المريرة ، ليعيش الأدب تجربة الأمة ويكون
الاديب صاحب رسالة بلا مضونة الشعري أو النثري منها ، لا من ذاكرته
ولا من خياله ، فيربط بذلك بين امتاجه والحياة الاجتماعية التي يجيها .

وثانيها أن مأساة فلسطين ودور الاستعمار العربي فيها دفعت أمتنا العربية

إلى التمرد من سيطرة الغرب والعمل على التخلص من احتكاره لنا في الميادين كلها ، ومنها ميدان الثقافة ، وهكذا تكون مأساة فلسطين هي التي دفعتنا إلى أن نفتتح كوة على ثقافة العالم الاشتراكي ، وهي ثقافة تقول بالتزام الفنان بخدمة مجتمعه ، وتشكر عليه الحق في الانعزال و (البرجمانية) ، ومن هذه الكوة الجديدة هبت علينا مفاهيم لاتعرفها الثقافة الغربية التي كانت مهيمنة علينا وكنا نسير في وكلاء ثقافة الغرب فنزع بوجه عام إلى منح الفنان نهاية الاستقلال الفردي ، وقد يصل الأمر ببعض مداومها إلى تحرير الأديب من كل مسؤولية اجتماعية ..

ومها يكن فإن الدعوة إلى الالتزام أثبتت في العالم العربي في أعقاب الهزيمة ، وشغلت - وما تزال - الأوساط الفكرية فيه ، والنقاد أيضاً فريقان أمامها : فريق مؤيد يبحث الكتاب والشعراء على اقتراض مادتهم من صميم الواقع العربي ، ويطالبهم بأن يلتزموا في معالجتها برأي محدد في شجاعة وإصرار ، وهريق معارض يسخر من الدعوة إلى الالتزام والأدب المادف ويسميه الأدب الماتف ، ويعني أن الأديب الملتزم آلة مطواع يردد كالليغاء ما يبرأ منه ، وبذلك تضيع حرية الأديب ، ويأتي أدبه زائفاً مكذوباً به على الحياة - كما يقول محمود تسيور - لأنه وليد الغرض والإملاء والإلزام .

والحق أن أمتنا العربية تعيش منذ الكارثة تجربة قاسية ، وهي ما تزال عاكفة على مأساتها ، تدوس أخطأها وتزعم لنفسها سبيل الخلاص لوضع نهاية مشرفة للنكبة ، والأدب مدعو إلى أن يسهم ويشارك فيؤدي واجبه في نمية الفكر والوجدان الشعبي ويساعد على نشر الوعي وتكامله ويؤكد شعراً ونثراً هذه المفاهيم التي تقرب الأمة العربية من نهاية المأساة :

أولاً : لانهاية للمأساة بدون أن ينظم العرب في دولة واحدة ، وتصبح

الشخصية العربية موحدة غير مجزأة إلى مصري ومصري وفلسطيني وعراقي
وسوداني وأردني وسجاري وعيني ولبناني وتونسي ومراكشي وجزائري الخ...

ثانياً : لانهاية الأنساء بدون إقامة مجتمع عربي متماسك قادر على حماية نفسه
من الاستعمار والجيانات الداخلية .

ثالثاً : لانهاية الأنساء بدون اعتقادنا على أنفسنا وإيماننا بسياسة الحياة إيماناً
قاطعاً ، فقد خذلنا المعسكران معاً وأقاما دولة اسرائيل على جثتنا .

رابعاً : لانهاية الأنساء بدون تعميق روح النضال في الجماهير العربية
وتعبئتها عسكرياً وخلقياً وروحياً ووجدانياً لمعركتنا القاسية مع اسرائيل .

هذه بتاييد للالتزام في الأدب ، وهي مسئولية على الأديب الشاعر أو
النثر ألا يهرب منها لينطوي على نفسه ويقتصر أدبه على ذاته ، وإننا للأجيال
العربية القادمة أن نحدد جريئة الأديب العربي الذي يبعثر اليوم طاقته الفنية
في موضوعات تعارض المفاهيم السابقة ، فتطيل عمر الأنساء وتبعد الفجر المرتقب !
ومن هنا نظهر مسئولية عدد من الأدباء والشعراء العرب الذين يتاجرون
بالانحلال وينفثون سمومهم الجنسية دون وازع ، ويصكبون في أعصاب الشباب
العربي نار الشهوة بقصائدهم المقضوحة العارية ، وقصصهم المكشوفة . ولا ريب
في أن إقبال الشباب العربي على قراءة أدب النيسج والشهوة دليل على وهن
خلفي في صفوفه ، وضغور خيم الاحساس بالخطر الجاثم على حدودنا وتناس
للأنساء التي لا تزال تعيش أممنا العربية في ليلها المظلم !

* * *

أبها السادة

هذه هي أم آثار الأنساء في الشعر المعاصر - كما تبدو لي - ويمكننا أن

لدى نقاطاً أخرى من تأثير المأساة الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر إذا
 دوسنا القصة الشعبية في شعر النكبة ، ونجد لها غاذج كثيرة رائعة حقاً في
 دواوين إبراهيم طوقان وأخته فدوى وحلى الخضراء الجيومي ويوسف الخطيب
 وأمين شكار وهارون هاشم رشيد وغيرهم ، ونليس تأثراً آخر لمأساة فلسطين
 في كثرة الشعر الذي يغنى به ، فالمذبح يردد كل أيام أغنيات رائعة نظمها
 المأساة بلسان أبي حلى وحسن البصري وهارون هاشم رشيد وأخيه علي هاشم
 رشيد وسليمان العيسى ويوسف الخطيب وغيرهم ، ولو كان الوقت يسمح لأوردت
 غاذج من رائع قصص المأساة الشعرية وأغانيها ، ولكنني أكتفي بالقصة الشعرية
 التي قدمها لنا قبل قليل نزار القباني (قصة راسيل شواو زبرخ) وأما الأغنيات
 فالمذبح في كل بيت كليل بتقديم الكثير لمن شاء منها .

♦ ♦ ♦

أبها السادة :

وأقدم لكم الآن غاذج من أجمل الشعر المعاصر ، نمحي لكم مشاهد متنوعة
 من مأساة فلسطين ، وقورز لأعيت حملة الآتال التي تركتها النكبة في الشعر
 العربي المعاصر :

١ - الفرائي و الشريد

صورتان من صور المأساة قبل التقسيم ، وسمنها ريشة شاعر فلسطين الأكبر
 إبراهيم طوقان ، وغايته أن يتفخ في عرب فلسطين روح المقاومة والفداء
 والتضحية ، فالفدائي :

صامت لو قكلها	لفظ النار والدما
قل لمن عاب صمته	خلق الحزم أبكها

وأخو الحزم لم تزل	يسده نسيق ألفها
لا تلوموه قد رأى	منهج الحق مظلم
وبلاداً أحبها	وكنها قد نهدما
وخصوصاً بيحييه	صحت الأرض والمها

هو بالباب واقف	والردي منه خائف
فأعدي أعواصف	خبطاً من شجاعته !

حتى إذا سقط الفدائي شهيداً ، ترك في أمته شامة لا تنطق :

عبي الخطب وبقيتم	وطعن الغول فاقعتم
رابط الجأش والنهي	ثابت القلب والقدم
نفسه طوع عصف	وجئت دوماً الغم
وهي من عصر الفدا	ومن جوهر الكرم
لم يثبح بدمعة	من حبيب ولا مكين
وبما أدرج التوا	ب سلباً من الكفن
لأنقل أين جسه	واسمه في ضم الزمن
أرسل النور في العبو	لما عرف الوسن

٢ - الغراب الفازي

صورة ومزينة بكشف فيها الشاعر المهجري جورج صيدح تجربة فاصية من تجارب الأمة ، يوم راحت الجيوش العربية المفروقة لها تخوض معركة القدر بدون سلاح ! ولقد تناول الشاعر التجربة من زاوية فنية ووجدانية تتسلل في غراب يقتنم على الشاعر غرقته في يحدون ، فيخيل له أن الغراب الفازي قادم من إسرائيل :

نظيرت من ناعب في الصباح
 مغير يترق شمل الرياح
 غمامة غير قنجاه البطاح
 تفرز منه عيون الاتحاح
 تسرب في غرقي واستواء
 كافي اعتزلت حياة المراح
 خلا الجو من هينات الصداح
 أنابي جوار العراب الوقاح
 ومن أبا الطير أن اجتياح
 دحيل على ميهرجان السنا
 إذا دافسته عن المجنى
 رواية ثومر على المنعنى
 ونطق أجناتها إن دنا
 سرب منه إلى العنا
 خصباً لأخو به هنا
 وحل النعيق محل العنا
 عجاف الطيور وأرضى أما
 مقامى أبر ما في الدنى

وأت انتسابي إلى يعرب

بجلل مأواي للأجنى

وأني أهدده بالقنا يكفي، وكفى خلعت من سلاح
 أخيف أنا لث بيني المباح وزادي - أعيدك منه - جراح
 صغبر بضيق بضيف هنا أغشى فيها فئآت الضنى
 عليك لاني الصراح شهورت عليك لاني الصراح
 بعد العدو الرواح سألتك بعد العدو الرواح
 فاعبا ، أطول منه القنا وعششت بين وكور الحنا
 على اليعنى بصلح ما بيننا ولا يسأل اللص عما جنى
 وعششت بين وكور الحنا دجى الخواشي دجى المنى
 دجى الخواشي دجى المنى دعوت عليها بأث ترطنا
 دجى الخواشي دجى المنى دعوت عليها بأث ترطنا
 دجى الخواشي دجى المنى دعوت عليها بأث ترطنا

أخلت عليك النسور الفضابية

ولكن . . حسدك يا ابن التراب

نزود الانعالي وأبقى هنا فعندك ما ليس عندى - ملاح *

٣ - الغريب المهاجر

صورة تفيض بالحياة والحنين إلى الوطن المفقود ، فقد كان الشاعر يرمف
الخطيب لاجئاً في دمشق عندما رأى عندليباً مقبلاً من الجنوب ، مهاجراً
مثله من فلسطين :

أتراك مثلي بأوفيق نرت في الزمن
عبر الممالك والقبائل السود والحنين
لكأن في عينيك بعض الملح من وطني

وأكاد ألمح في وجوهك لوت ماضني
جرحي ، وملحمي ، ونشريدني وآعاني

بها لفة ناصحي مشوبة النوار
هل بعض أخباري نحدثها ، وأمرار
للظالمين على مناه الوحشة العاري
.. كيف الحقول تركتها في عرس آدار
ومنى لويت جناحك الزاهي عن الدار
عجياً ! أتراك أنبتنا من غير تذكاري !

لوقتة تما يرف بييدو البلر
خبأتها بين الجناح وخفقة الصبدر
لورملات من التلت ، أو دنا صفد

لو غشبة بيد ، ومزقة سوسن يبيد
أبين الهدايا مذ رحت مرابع الرغد
أم جئت متلي بالحنين وسورة الصمد

مدا رحيلك أبدا المتسرّد الباك
عن أرض غابات الخيال وفوحها الزاكي
أم أنت مرج الزهر أصبح قهراً أشواك
وتلوات أنهارها بنجيب معفك
داري ، وفي عيني والشفين مجواك
لا كنت نسل عروبي إن كنت أنساك !

٤ - بحر هنر سبع

صرخة رائحة الشاعر أبي مله يد كثر فيها بدماء فلسطين الشهيدة عندما
لاح أول شعاع من شمس الوحدة العربية بقيام الجمهورية العربية المتحدة :

بارق في جبل النار دعاها	الهرى هذا الذي صبّ هوانا
والنسبات التي مرت بنا	حملت من أرض حطين شذانا
وعلى كل طريق عبق	من صبا وشعاع من دمانا
وإذا ما لفظت أهلي الرنا	هتعت من خلل الدمع ربانا
أي سفح لم يسر فيه اظن	من فلسطين ولم يعرف سُرانا
أي شعب حنقت أعلامه	حرّة إلا على دامي خطانا
هم أطفال بلادي زحفوا	في الدروب اختر ذلاً وهوانا
بالضحايا كتبوا تاريخنا	بالطيار السود تبكيهم زمانا

باسم أهلي في بقاء وطني	باسمهم في كل أرض مكثوا
واسمهم يهدر في شعري دماً	واسمهم تقسم إلا نلتقي
يا فلسطين مضت عشر وفي	وأبيننا والظلم يحرقنا
يا أحبابي مضت عشر ولم	وشظاياتنا اللواتي وحدت
لن تترك الوحدة الكبرى إذا	
كل يوم يسبح الدهر ندانا	عرباً قلباً ووجهاً ولداً
تلثيم الثوب المقدس شفتانا	بين أهلينا ولم يبق سوا
لم يسلح في الوحدة الكبرى حنا	

* * *

أها السادة

هذه الصفحات المختارة من الديوان الدموي الضخم الذي صنعه مأساة فلسطين للأدب المعاصر تصل إلى نهاية الحديث ، غير أن ملحمة الدم في فلسطين نزلت بلا نهاية ، فالدم العربي المظاوم المصقول فوق تربة فلسطين يزأر ليل نهار يدعو العرب إلى التأول ليخطوا حافة مشرفة لمأساتهم القومية العظيمة

إن ليل المأساة ينتظر الفجر ، وإنه قريب ، وقد لاحت نباشيره بقيام الجمهورية العربية المتحدة ، ولئن كان (ابن غوديون) يعترف في (الكنيسة) بأن اليهود اعتدوا في إقامة إسرائيل على الجيش ٢٥٥ في المائة و ٩٧,٥ في المائة على السياسة ، فإن الجمهورية العربية المتحدة قلقت اليوم - بحمد الله - الجيش العربي العظيم الذي يحمر جيش إسرائيل ، كما قلقت القائد السيامي الذي يلقب بدهائه كل باطل للسياسة الإسرائيلية فشله ، ويوم يقود هذا القائد الناصر المظفر جيش العرب إلى تلال حطين ويقذف بالقزاة المعتدين إلى البحر سيقتني له الشعر العربي المعاصر

أجل أغاني المأساة وأروعها ، وتتفق بذلك نبوءة الشاعر القديم ابن مظروح :
 المسجد الأضفى له عادة " حارت فصارت مثلاً سائراً
 إذا غدا للكفر ميئوطناً أنت بيعت أمة له فاحراً
 فناصر طهره " أولاً وناصر طهره " آخراً "

والسلام عليكم

أهم مصادر البحث

- ١ - في شعر النكبة : للدكتور صالح الاشتو
- ٢ - أدب الحروب الصليبية : للدكتور عبد اللطيف حمزة
- ٣ - النكبة والبناء : للدكتور وايد فعاوي
- ٤ - طبيعة الفن ومسئولية الفنان : للدكتور محمد النويهي
- ٥ - الأدب الهادف : للأستاذ محمود فبور
- ٦ - مقدمة ابن خلدون
- ٧ - تادريخ ابن الأثير
- ٨ - دواوين الشعراء الذين ذكرت أسماؤهم في البحث
- ٩ - مجلات : الثقافة العربية (عدد ممتاز عن فلسطين) والثقافة (الدمشقية)
 والآداب والأدب والعالم الإسلامي ومجلة العربي الخ ...

(١) - التامر الأول هو صلاح الدين الأيوبي ، والتامر الآخر هو داود صاحب الكرك
 الملقب بالملك التامر .

الفهرس

الصفحة

٣	١ - تمهيد
٥	٢ - مدخل : الأدب العربي وشعر النكبات مأساة فلسطين والفوز العليي .. أوتى قصائد النكبة .
١٠	٣ - مأساة فلسطين والفوز الصهيوني
١٣	٤ - أثر المأساة في الشعر المعاصر
١٤	أ - قدمت للشعر المعاصر زاعة لا يبعد
١٥	ب - أغتت العنصر العاطفي في
١٩	ج - نفخت فيه روح السرعة والانطلاق والثورة
٢٢	د - دفعت به إلى التطور والتجديد والحياة
٢٩	هـ - غلبت عليه الاتجاه الانثرايمي المادوي
٣١	و - القصة الشعرية والأغنية في المأساة
	٥ - غاذج مختارة من صور المأساة في الشعر المعاصر :
٣٢	أ - الفدائي والشهيد لبراهيم طوقان
٣٣	ب - الغراب الغازي لجورج ميديح
٣٥	ج - العندليب المهاجر ليوسف الخطيب
٣٦	د - بعد عشر سنين لأبي سلمى
٣٧	٦ - خاتمة
٣٨	٧ - أهم مصادر البحث
٣٩	٨ - الفهرس



1892

1893

1894

للمؤلف

• في شعر النكبة

« بحث تخطيطي في اصداء نكبة فلسطين في الشعر
العربي المعاصر »

(مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠)

• أندلسيات شوقي

« بحث تطبيقي في أدب شوقي في
المنفى وأثر الأندلس في شخصيته وقنه »

(مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٩)

• أخبار البحتوي

لأبي بكر الصولي

« تحقيق الكتاب ونشره لأول مرة »

(مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٨)

• إغراب المكتتاب

لأبي عبد الله بن الأبار

« تحقيق الكتاب ونشره لأول مرة »

(مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - تحت الطبع)



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

NYU - BOBST



31142 01011 1485

PJ8190.P3 A84 1961

Ma'sat Fi

PJ
8190
.P3
A84
1961
c.1